الرسالةُ الرابعةُ

البُرْهانْ
في وجوبِ اللجوءِ إلى الواحدِ الديَّانْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ للهِ نَحمَدُه، ونستعينُه، ونعوذُ باللهِ مِن شرورِ أنفُسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأَشهَدُ أنْ لا إلٰهَ إلَّا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأَشهَدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا؛ **أمَّا بعدُ:**

فإنَّ ممَّا انتشَرَ بين الناسِ وذاعَ، دعاءَ غيرِ اللهِ ﷻ فيما لا يَقدِرُ عليه إلَّا اللهُ ﷻ في قضاءِ الحاجاتْ، وتفريجِ الكُرُباتْ، وإغاثةِ اللَّهَفاتْ، وشفاءِ الأمراضِ، ورِزْقِ الأولادِ، وهذا ـ لا شَكَّ ـ محرَّمٌ في دِينِ الإسلامِ؛ بل هو مِن دِينِ الجاهليَّةِ، ومِن الشركِ باللهِ ﷻ.

والدليلُ على بُطْلان ذلك مِن عشرةِ أوجُهٍ:

أوَّلًا: أنَّ اللهَ ﷻ نهى عن دعاءِ غيرِه؛ فقال لنبيِّه الكريم ﷺ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦]، وقال اللهُ ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، وقال ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، والآياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ.

ثانيًا: أنَّ اللهَ ﷻ أمَرَ بدعائِهِ وحدَهُ دونَ ما سواه؛ فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال ﷻ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ

ﱡﭐ... ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ﱠ [النمل: ٦٢]؛ أي: هل هناك مع اللهِ أحَدٌ يستطيعُ ذلك سواه؟! **الجوابُ**: لا؛ بل هو المتفرِّدُ وحدَهُ بذلك.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦].

روى أحمدُ (٢٦٦٩)، والتِّرمِذيُّ (٢٥١٦)؛ مِن حديثِ قَيْسِ بنِ الحَجَّاجِ، عن حَنَشٍ الصَّنْعانيِّ، عن عبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ؛ أنَّه حدَّثه؛ أنَّه رَكِبَ خَلْفَ رسولِ اللهِ ﷺ يومًا، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: «**يا غُلامُ، إنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ، وَإِذا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ، واعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ؛ رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»؛ وإسنادُهُ جيِّدٌ، وقيسُ بنُ الحَجَّاجِ صدوقٌ لا بأسَ به، ومثلُهُ حَنَشٌ الصَّنْعانيُّ.

ولهذا الخبرِ أسانيدُ متعدِّدةٌ يَزدادُ بها الخبرُ قُوَّةً؛ قال التِّرمِذيُّ: «حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ».

ثالثًا: بيَّن اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في كتابِهِ العظيمِ أنَّ مَن دعا غيرَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فقد وقَعَ في الكفرِ والشركِ:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧]؛ فمَن فعلَ ذلك، فهو مِن الكافِرين؛ كما في الآيةِ الكريمة، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]؛ فبيَّن عَزَّ وَجَلَّ أنَّه لا أضلَّ ممَّن

فعَلَ ذلك؛ وهو دعاءُ غيرِ الله، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجن: ٢٠]؛ أي: لا أُشرِكُ به في دعاءِ غيرِه مِن المخلوقِين.

رابعًا: أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيَّن أنَّ الخلقَ مهما بلَغُوا مِن المكانةِ عندَه، فهم لا يَقدِرونَ على شيءٍ، إلَّا ما أقدَرَهم هو عليه، وأنَّهم فقراءُ إليه، وهم بَشَرٌ مثلُهم ويَعترِيهم ما يعتري البَشَرَ؛ فيأكُلونَ، ويَشرَبونَ، ويَمرَضونَ ويموتون:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠]، وحكَى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمِّه؛ أنَّهما كانا يأكُلانِ الطعامَ؛ فقال: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ﴾ [المائدة: ١٧]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال عن نبيِّه محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

بل أخبرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّ بعضَ الأنبياءِ قد قتَلَهم أقوامُهم؛ فقال: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة: ٨٧].

فالذي نَصِلُ إليه: أنَّ الدعاءَ لا يكونُ إلَّا للهِ؛ لأنَّه هو الربُّ القادرُ على كلِّ شيءٍ، والمتفرِّدُ بذلك دون ما سواه مِن الخلق:

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الأعراف: ١٩٤]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ

مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣]، وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [الفرقان: ٦٥].

خامسًا: أنَّ اللهَ ﷻ أخبرَ أنَّ الأنبياءَ والرُّسلَ الكرامَ عليهم الصلاةُ والسلامُ، والصالِحِينَ مِن عبادِهِ؛ بل والملائكةَ ـ لا يَدْعُونَ غيرَ اللهِ ﷻ في جميعِ أمورِهم، ومختلِفِ أحوالِهم؛ فالواجِبُ اتِّباعُهم، والاقتداءُ بهم:

قال ﷻ عن نبيِّه يُونُسَ عليه السلام حينما كان في بطنِ الحُوتِ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وقال ﷻ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠]، وقال ﷻ عن نبيِّه أيوبَ عليه السلام إذْ دعاه؛ فقال: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤]، وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ [غافر: ٧، ٨].

وفي البخاريِّ (٢٩١٥)، عن عِكْرِمةَ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «قال النبيُّ ﷺ يومَ بدرٍ: «**اللَّهُمَّ، إنِّي أَنْشُدُك عَهْدَكَ ووَعْدَكَ، اللَّهُمَّ، إنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ**»؛ فأخذَ أبو بكرٍ بيدِهِ، فقال: حَسْبُكَ! فخرجَ وهو يقولُ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: ٤٥].

قال الحافِظُ في «الفتح» (٧/ ٢٨٩): «وعند الطَبَرانيِّ بإسنادٍ حَسَنٍ، عن ابنِ مسعودٍ؛ قال: «ما سَمِعْنا مناشِدًا ينشُدُ ضالَّةً أشَدَّ مناشَدةً مِن محمَّدٍ لِرَبِّهِ يومَ بَدْرٍ: «**اللَّهُمَّ، إِنِّي أَنْشُدُكَ مَا وَعَدْتَنِي**». اهـ.

وهو عند النَّسَائيِّ في «الكبرى» (٨٥٧٤ و١٠٣٦٧): «أخبَرَنا محمَّدُ بنُ يحيى بنِ محمَّدٍ، قال: حدَّثَنا عُمَرُ بنُ حَفْصٍ، قال: حدَّثَنا أبي، قال: حدَّثَنا الأعمَشُ، عن أبي إسحاقَ، عن أبي عُبَيْدَةَ، عن عبدِ اللهِ، قال: «لمَّا الْتَقَيْنا يومَ بَدْرٍ، قام رسولُ اللهِ يصلِّي، فما رأيتُ ناشِدًا ينشُدُ حقًّا له أشَدَّ مِن مناشَدةِ محمَّدٍ رَبَّهُ تعالى، وهو يقولُ: «**اللَّهُمَّ، إِنِّي أَنْشُدُكَ وَعْدَكَ وَعَهْدَكَ، اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ، إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةَ**[1]**، لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**»، ثمَّ التفَتَ إلينا كأنَّ شُقَّةَ وَجْهِهِ القَمَرُ، فقال: «**هَذِهِ مَصَارِعُ القَوْمِ العَشِيَّةَ**».

وعند الطبَرانيِّ (١٠/ ١٨١ رقم ١٠٢٧٠): حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ العبَّاسِ الأَصبَهانيُّ، وعَبْدَانُ بنُ أحمدَ، وعَلِيُّ بنُ بِسْطامْ[2] الزَّعْفَرانيُّ، قالوا: ثنا سَهْلُ بنُ عثمانَ، ثنا يحيى بنُ زكريَّا بنِ أبي زائدةَ، عن الأعمَشِ، عن أبي إسحاقَ، عن أبي عُبَيْدَةَ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ، قال: «ما سَمِعْنا مُناشِدًا أنشَدَ حقًّا له أشَدَّ مناشَدةً مِن محمَّدٍ ﷺ يومَ بَدْرٍ، جعَلَ يقولُ: «**اللَّهُمَّ، إِنِّي**

---

(١) ضبَطُوا: «تُهلِكْ» بفتحِ التاءِ وضمِّها؛ فعلى الأوَّلِ: تُرفَعُ «العِصابةُ» على أنها فاعِل، وعلى الثاني: تُنصَبُ فتكونُ مفعولةً؛ و«العصابةُ»: الجماعةُ. ينظر: «شرح النووي على مسلم» (١٢/ ٨٥)، و«فتح الباري» لابن حجَر (٧/ ٢٨٩)، و«شرح السُّيُوطي على مسلم» (٤/ ٣٦٩).

(٢) قال الجَوْهَريُّ: «بِسْطامٌ: ليس مِن أسماءِ العرَب، وإنما سمَّى قيسُ بنُ مسعودٍ ابنَهُ بِسْطامًا، باسمِ مَلِكٍ مِن ملوكِ فارس، كما سمَّوْا قابُوسَ ودَخْتَنُوسَ، فعرَّبوه بكسرِ الباء»؛ قال ابنُ بَرِّيٍّ: «إذا ثبَتَ أنَّ بِسْطامَ اسمُ رجلٍ منقولٌ مِن اسم بسطام الذي هو اسمُ مَلِكٍ مِن ملوكِ فارس، فالواجبُ تركُ صرفِهِ للعُجْمةِ والتعريفِ». قال: «وكذلك قال ابنُ خالَوَيْهِ: «ينبغي ألَّا يُصرَفَ»» وقال ابنُ بَرِّيٍّ أيضًا: «إذا ثبَتَ أنَّ بِسْطامًا اسمٌ أعجميٌّ علَمٌ ليس بجنسٍ، فلا وجهَ لصرفِهِ؛ فإذا ثبَتَ هذا، فإنَّ بِسْطامًا مصروفٌ؛ لأنَّه منقولٌ مِن جِنْسٍ». ينظر: «في التعريب والمعرَّب، وهو المعروفُ بحاشيةِ ابنِ بَرِّيٍّ» (ص٤٤)، و«لسان العرب» (١٢/ ٥٠).

أَنْشُدُكَ مَا وَعدتَّنِي، اللَّهُمَّ، إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكَ هَذِهِ العِصَابَةَ لا تُعْبَدْ»، ثمَّ التفتَ كأنَّ وجهَهُ القمرُ، فقال: «**كَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ القَوْمِ عَشِيَّةً**».

سادسًا: أنَّ الكونَ وما فيه كلُّه للهِ عَجَّلَ، وبيدِهِ، وتحتَ تصرُّفِهِ وتدبيرِه؛ إذنْ هو الذي يجبُ أن يُدعَى وحدَهُ؛ لأنَّ المُلْكَ مُلْكُه، والخَلْقَ خَلْقُه، والأَمْرَ أَمْرُه:

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه: ٥، ٦]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٤﴾ [الحديد: ٤]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٤]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ٢]؛ و«الصَّمَدُ»: هو الذي تصمُدُ إليه الخلائقُ في طلَبِ حاجاتِها.

سابعًا: أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكَرَ عن أنبيائِهِ ورسلِهِ الكرامِ عليهم الصلاةُ والسلامُ: أنَّهم في بعضِ الأحيانِ سألوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ في بعضِ أمورِهم، فلم يستجِبْ لهم، ولم يَتحقَّقْ لهم مُرادُهم:

كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن نبيِّه محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٥٦﴾ [القصص: ٥٦]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٨٠]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١١٣﴾ [التوبة: ١١٣]، وقال عن إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ۝١١٤﴾ [التوبة: ١١٤]، ومعلومٌ أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يستجِبْ لإبراهيمَ في هذا.

وقال عَزَّ وَجَلَّ عن نُوحٍ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ

أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: ٤٥ ـ ٤٧]؛ فكيف يَدْعُونَ أحدًا مِن دونِ اللهِ ﷻ؟!

وانظُرْ أيضًا: إلى ما حصَلَ يومَ أُحُدٍ، لـمَّا قاتَلَ المسلِمونَ بقيادةِ رسولِ اللهِ ﷺ المشرِكين، وأرادوا النصرَ عليهم، فلم يَتِمَّ ذلك، مع أنَّهم بذَلُوا الأسبابَ، وقد أنزَلَ اللهُ ﷻ آياتٍ كثيرةً في «سورةِ آلِ عِمْرانَ» فيها تربيَةٌ وتوجيهٌ لِلمسلِمِينَ بسببِ ما حصَلَ لهم.

وانظُرْ أيضًا: إلى ما حصَل مِن عليِّ بنِ أبي طالِبٍ رضي الله عنه في مَعْرَكةِ صِفِّينَ[1]، عندما حاوَلَ أن ينتصِرَ على الطَّرَفِ المقابِلِ، وبذَلَ وُسْعَهُ، فلم يَتِمَّ له هذا المراد.

وانظُرْ أيضًا: إلى الحُسينِ رضي الله عنه؛ فقد قاتَلَ؛ دفاعًا عن نفسِهِ إلى أن قُتِلَ رضي الله عنه، هو وجمعٌ مِن أهلِ بيتِه، فلم يستطِعْ أن يَدفَعَ عن نفسِهِ أو أهلِ بيتِهِ شيئًا.

فأين هؤلاءِ الذين يَدْعُونَ عليًّا والحسينَ مِن دونِ اللهِ ﷻ؟! وهما لا يستطيعانِ أن يَدفَعا عن أنفسِهما، أو يَرُدَّا قدَرَ اللهِ السابِقَ فيهما، وعن أهلِ بيتِهما؛ وهذا أمرٌ معلومٌ بالعقلِ، لا يستطيعُ أحدٌ مِن الناسِ أن يَنفَكَّ عنه، ومشاهَدٌ بالحِسِّ لا يُمكِنُ دَفْعُه، وقد كان عليٌّ والحسينُ رضي الله عنهما يَلْجَأانِ إلى ربِّهما في حالاتِ الشدَّةِ ويَدْعُوَانِهِ ﷻ؛ فعلى مَن يَزعُمُ محبَّتَهما: أن يسلُكَ سبيلَهما، ويتَّبِعَ طريقَتَهما.

وقد وصَلَ الأمرُ ببعضِ الناسِ أنَّه في بيتِ اللهِ الحرامِ وعند الكعبةِ، عندما أراد أن يقومَ، قال: «يا عليُّ!»، فسَمِعَهُ بعضُ أهلِ العلمِ؛ فقال له: «لو كُنْتَ في بيتِ أحَدٍ مِن الناسِ، واحتَجْتَ إلى حاجةٍ مِن البيتِ؛ هل تَذهَبُ إلى

---

(١) وفي إعرابِ «صِفِّينَ» خمسُ لغاتٍ: إعرابُ جمعِ المذكَّرِ السالِمِ، وإعرابُ عُرْبُونٍ، وإعرابُ غِسْلِينٍ، ولزومُ الواوِ مع فتحِ النون، وأصلُهُ في «المشارِق» لعِياضٍ، وهناك لغةٌ خامِسة؛ وهي إعرابُهُ إعرابَ ما لا يَنصرِفُ؛ للعَلَمِيَّةِ والتأنيثِ، أو شبهِ الزيادةِ؛ كما قاله عِياضٌ وغيرُه. ينظر: «تاج العروس» (٣٥/ ٣١٤).

جارِ صاحِبِ البيتِ، أو تسألُ صاحِبَ البيتِ نفسَهُ؟!»، فما كان منه إلَّا أن قال: «أسألُ صاحِبَ البيتِ نفسَهُ»؛ فانظُرْ ـ يا رعَاكَ اللهُ ـ أنَّه لم يستطِعْ دَفْعَ ذلك؛ بل اعترَفَ بالحقِّ.

ولذا قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء: ٥٧].

وأضرِبُ مثلًا آخرَ يَعقِلُهُ كلُّ الناسِ؛ على سبيلِ المثالِ: لو أنَّ رجلًا أغناهُ اللهُ ﷻ، وأعطاهُ الأموالَ الكثيرةَ، وله أولادٌ، وكان دائمًا يقولُ لأولادِهِ: «إذا احتَجْتُمْ شيئًا مِن المالِ أو الطعامِ أو الكِساءِ، فأَخْبِروني»؛ فكان هؤلاءِ الأولادُ لا يطلُبون منه؛ بل يَذهَبونَ إلى الجيرانِ ويسألونهم؛ فهل فِعْلُهم هذا موافِقٌ للعقلِ، أو هو مِن السَّفَهِ المنافي للعقلِ؟! هذا فيما يَتعلَّقُ بالخُلُقِ؛ فكيف بالخالِقِ ﷻ الذي له المثَلُ الأعلى؟!

فعلى العبدِ أن يتَّجِهَ إلى ربِّه الذي هو خالِقُهُ وسيِّدُهُ ومولاهُ في قضاءِ حاجاتِهْ، وتفريجِ كُرُباتِهْ.

وقد يحتجُّ بعضُ الناسِ في دعائِهم مِن دونِ اللهِ: بمعجِزاتِ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ، وأنَّ موسى عليه السلام مثلًا كان يَضرِبُ الحَجَرَ فيخرُجُ منه الماءُ، وأنَّ عيسى كان يُحيِي الموتى، ويُبرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ:

فأقولُ: عن ذلك أجوِبةٌ، منها:

الأوَّلُ: إنَّ هذه المعجِزاتِ إنَّما هي مِن اللهِ، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٤٩]؛ فعلى العبدِ أن يَسألَ اللهَ الذي أعطى هذه المعجِزاتِ لهم.

الثاني: أنَّ هؤلاءِ الأنبياءَ عليهم السلام لئن كانوا يَسألونَ اللهَ ﷻ ـ كما تقدَّم في الآياتِ ـ فعليك أيُّها المرءُ أن تقتدِيَ بهم؛ فهم القُدْوةُ والأُسْوةُ الحسنة.

الثالثُ: أنَّ الأدلَّةَ السابقةَ واضحةُ الدَّلالةِ في المنعِ مِن دعاءِ غيرِ اللهِ؛

بل ينبغي أن تَبدَأ بربِّك ﷻ أوّلًا؛ حتى فيما يَقدِرُ عليه الإنسانُ.

وقد حُكِيَ عن أبي جعفرٍ محمَّدٍ الباقرِ؛ أنَّه قال: «مَن عرَضَتْ له حاجةٌ إلى مخلوقٍ، فليَبدَأْ باللهِ ﷻ»(١).

ثامنًا: أنَّ اللهَ ﷻ كما أمَرَ عبادَهُ أن يدعُوهُ وحدَه، ونهى عن دعاءِ غيرِه، فهو يُحِبُّ مِن عبادِهِ أن يدعُوه، ويستغيثوا به، ويَلجَؤوا إليه في جميعِ أمورِهم، ومختلِفِ شؤونِهم؛ فالدعاءُ عبادةٌ محبوبةٌ للهِ سبحانه وتعالى؛ فالذي يدعُو ربَّه سبحانه وتعالى يَفعَلُ شيئًا محبوبًا له مقرَّبًا لديه. **ودليلُ ذلك**: الحديثُ القُدُسيُّ؛ وهو حديثٌ عظيمٌ؛ قال ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ؛ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ؟! مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟! مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟!**»(٢).

فانظُرْ إلى هذا الكرَمِ الإلٰهيِّ؛ يدعُو عبادَهُ لكي يسألوهُ ويَدْعُوه، وذلك في كلِّ ليلةٍ، وهو غنيٌّ عنهم؛ فعلى العبدِ أن يغتنِمَ هذا الكرَمَ العظيمَ مِن قِبَلِ الربِّ ﷻ؛ فيُكثِرَ مِن دعائه، وسوف يَجِدُ انشراحًا في قلبِه، وراحةً في نفسِه، وزيادةً في إيمانِه؛ قال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ۝٣٢﴾ [النساء: ٣٢].

وقد أخرَجَ مسلمٌ (٢٥٧٧)؛ مِن حديثِ سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ، عن رَبيعةَ بنِ يزيدَ، عن أبي إدريسَ الخَوْلانيِّ، عن أبي ذَرٍّ الغِفاريِّ، عن النبيِّ ﷺ، فيما يرويه عن ربِّه ﷻ؛ أنَّه قال: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛**

(١) «كتاب المستغيثين بالله» لابن بَشْكُوال: (ص٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، وأبو داود (١٣١٥ و٤٧٣٣)، والتِّرمِذي (٤٤٦ و٣٤٩٨)، والنَّسائي في «الكبرى» (٧٧٢٠ و١٠٢٣٧ ـ ١٠٢٤٧)، وابن ماجه (١٣٦٦)؛ مِن طرقٍ متعدِّدةٍ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه؛ وهو حديثٌ متواتِرٌ جاء عن اثنَيْ عشَرَ صحابيًّا، أخرَجها بطُولها الدارَقُطْنيُّ في كتابه «النزول»، وشرَحَ هذا الحديثَ شيخُ الإسلامِ في رسالةٍ مطوَّلة.

فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ...».

قال سعيدٌ: «كان أبو إدريسَ الخَوْلانيُّ إذا حدَّث بها الحديثِ، جَثَا على ركبتَيْه».

وجاءَ عن أبي هُرَيْرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال: «قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»[(١)].

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٥٧)، وابن ماجة (٣٨٥٣) بلفظ «يدع»، وأحمد (٩٧٠١)، والحاكم (١٨٢٩)، وابن أبي شيبة (٢٩١٦٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٤٥)، والبزار (٩٤٢٥)، وأبو يعلى (٦٦٥٥) والطبراني في «الأوسط» (٢٤٣١)، وابن الأعرابي (١٨٠١) والعسكري في «مسند أبي هريرة» (٧١)، وابن أبي خيثمة في «التاريخ» (٢٠٠٣ ـ القسم الثاني)، وغيرهم... كلهم من طريق: أبي المليح المدني عن أبي صالح الخوزي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وهذا حديث فيه ضعيف لما يلي:
١ ـ أن أبا صالح الخوزي، اسمه: لا يعرف كما قال أبو زرعة الرازي، وقال عنه ابن معين: مدني ضعيف.[«الكامل» لابن عدي (١٠/٧٤٨)].
وقال عنه أبو زرعة: لا بأس به.[«الجرح والتعديل»: (٩/٣٩٣)]. قال ابن ماجه: سألت أبا زرعة عن أبي صالح فقال: هو الذي يقال له: الفارسي، وهو خوزي، ولا أعرف اسمه.
قال أبو بكر البزار (١٦/٢٤٨): إنما قيل الخوزي؛ لأنه كان ينزل بمكة في شعب الخوز، ولم يرو إلا عن أبي هريرة، ولم أجد له إلا حديثين، الحديث الثاني: المعجم الأوسط (٨/٤٩): «**مَنْ رَأَى مِنْ أَخِيهِ رِبْقَةً فِي دِينِهِ فَسَتَرَهُ عَلَيْهَا، كَانَتْ لَهُ حَسَنَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». جاء عند الطبراني في «الأوسط» (٩٧٢٦)، وأبي الشيخ في «التنبيه والتوبيخ»: (١٢٤) بلفظ مقارب، كلهم من طريق عبد الله بن نافع عن أبي المليح عن أبي صالح عن أبي هريرة.
قلت: يشهد له ما جاء في صحيح مسلم (٢٦٧٣) من حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا: «**لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، ولم يرو عنه إلا أبو المليح الخوزي الفارسي المدني الخراط، واسمه: صبيح كما قاله ابن معين والدارمي [«تاريخ الدوري»: (٢/٧٢٦)، «التاريخ الكبير»: (٢/٣٦٦) ـ (٤/٣١٨)]، وقيل: اسمه حميد، قاله الترمذي ـ كما في نسخة «تحفة الأشراف» ـ (١٥٤٤١) الحاكم (٣/٨).
ينظر «تصحيفات المحدثين» (٧٨٧)، قال عنه ابن معين ـ كما في «سؤالات الدوري»: ثقة. وقال أبو حاتم: شيخ. [«الجرح والتعديل»: (٤/٤٥١)]. =

ولكنَّ نصوصَ الكتابِ والسُّنَّةِ تَشهَدُ لمعناه؛ فالذي لا يَسأَلُ اللهَ ﷻ مطلَقًا، ولا في شيءٍ مِن أمورِه، لا شكَّ أنَّ اللهَ ﷻ يَغضَبُ عليه؛ لأنَّه لم يتَّخِذِ اللهَ ربًّا وإلٰهًا.

والدعاءُ منه ما هو واجِبٌ؛ **مثلُ**: سؤالِ اللهِ الهدايةَ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، وسؤالِ اللهِ المَغفِرَةَ؛ كالدعاءِ بين السجدَتَيْن.

= وذكره ابن حبان في [«الثقات»: (٦/ ٤٧٥)]، ووثقه أبو بشر الدولابي في [«الكنى»: (١٠٦١)]، والدولابي جعل اثنين الأول: أبو المليح واسمه: صبيح وقد وثقه، والثاني: أبو المليح واسمه: حميد. وفيما قاله نظر فهما واحد، وقد سبقه إلى هذا البخاري (٢/ ٣٥٥)، ومسلم في «الكنى»، وابن أبي حاتم، ونقله عن والده (٣/ ٢٣٣) وابن حبان (٦/ ١٩٢)، ويظهر أنه أخذ ذلك من مسلم، وينظر ما سيأتي من كلام الحاكم عليهما.

تنبيه: لم يذكر الذهبي أبا المليح المدني في كتاب «الميزان» مع أنه على شرطه، مما يدل على ثقته عنده، ولهذا وثقه في كتاب [«الكاشف»: (٦٨٥٦)]، وقد وهم حينما ذكر أبا المليح الهذلي، وقال: يروي عن أبي صالح السمان، خرج له الحاكم، واعترف أنه في عداد المجهولين.

قلت: إنما هو أبو المليح الذي يروي عن أبي صالح الخوزي لا السمان، وكيف غاب على الذهبي مع أن الحاكم في النص المنقول عنه من الذهبي قال: كلاهما في عداد المجهولين، ومع أن الحاكم قيد اسميهما، وظاهر أن الذهبي نقله من حفظه.

٢ ـ أن التفرد واقع في الطبقة الأولى من الحديث، إذ لم يتابع عليه أبا صالح ولا أبا المليح، وقد اشتهروا بهذا الحديث، حتى لم يكن يعرفهم أئمة النقد إلا بقوله: صاحب حديث «من لم يسأل الله» كما قاله ابن معين.

قال الترمذي: لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وقال الطبراني: لم يرو هذه الحديث عن أبي صالح إلا أبو المليح.

وقال أبو الحسين الدارقطني [كما في «أطراف الغرائب والأفراد»: (٥٥٥٨)]: تفرد به أبو المليح.

وإن كان مثل هذا الإسناد في هذه الأبواب يسهل فيه ويعتبر به، قال أبو عبد الله الحاكم (٣/ ٨): حديث صحيح الإسناد، فإن أبا صالح الخُوزي وأبا المليح الفارسي لم يذكرا بالجرح، وإنما هما في عداد المجهولين لقلة الحديث.

وإخراج ابن عدي له في «الكامل»: (١٠ ـ ٧٤٨) يدل على تفرده عنه، فإنه غالبًا يقصد إلى إخراج المعلول عنده، بعد الترجمة للراوي.

وقال أبو الفداء ابن كثير في تفسيره (٦/ ٥٠٤) إسناده لا بأس به.

وقد نظَم بعضُهم هذا المعنى، فقال:

الرَّبُّ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ ... وَبُنَيُّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

تاسعًا: مع دَلَالةِ الشرعِ مِن الكتابِ والسُّنَّةِ على منعِ سؤالِ غيرِ اللهِ، فيما لا يَقدِرُ عليه إلا اللهُ، ففِطْرةُ الإنسانِ دلَّت على أنَّ اللهَ ﷻ فطَرَ العبادَ على التوجُّهِ إليه ودعائِهِ في وقتِ الشدَّةِ وحلولِ المصيبةِ؛ وهذا في كلِّ الناسِ حتى الكافرِ؛ كما ذكَرَ اللهُ ﷻ عن المشرِكينَ؛ فقال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس: ٢٢]، وقال عنهم: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧].

بل إنَّ الحيواناتِ مفطورةٌ على التوجُّهِ إلى ربِّها وفاطِرِها؛ قال ﷻ عن هُدْهُدِ سليمانَ عليه السلام: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل: ٢٢ ـ ٢٦].

فانظُرْ كيف أنكَرَ هذا الطائرُ على الذين توجَّهوا لغيرِ اللهِ؛ لأنَّها فِطْرةٌ، فطَرَ اللهُ ﷻ عليها جميعَ الخلقِ؛ إنسِهم وجِنِّهم، وناطِقِهم وأعجمِهم.

عاشرًا: أنَّ الإنسانَ بعقلِهِ ـ كما تقدَّم ـ يَعلَمُ أنَّ هؤلاءِ المدعُوِّينَ مثلُهُ في الخلقِ والبشَريَّةِ؛ فكيف يستغيثُ بهم من دونِ اللهِ، ويلتجِئُ إليهم، ويَسأَلُهم الشفاءَ والرزقَ، وهم مثلُه؟!:

قال ﷻ عن نبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال ﷻ: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ

مِن عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم: ١١]، وتقدَّم في الآيةِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الأعراف: ١٩٤].

حتى فيما يَقدِرُ عليه العبادُ، ويكونُ في وُسْعِهم القيامُ به؛ فينبغي سؤالُ اللهِ ﷻ، وقطعُ الالتفاتِ إلى الخَلْقِ:

ومع ذلك: فإنَّنا نَجِدُ بعضَ الناسِ إذا أُصيبَ بمرضٍ مثلًا، فإنَّه يَذهَبُ إلى مَن يَرْقيه، بينما الذي ينبغي عليه أن يَرقِيَ نفسَهُ ابتداءً، وما مِن أحدٍ مِن المسلِمِينَ إلا وبحمدِ اللهِ يستطيعُ أن يَقرأَ على نفسِهِ الفاتحةَ، وآيةَ الكُرْسيِّ، والمعوِّذات، ونحوَ ذلك مِن السُّوَرِ والآيات.

ولا يخفى أنَّ الإنسانَ عندما يَرْقي نفسَهُ بنفسِه، فإنَّه سوف يجتهِدُ في الرُّقْيةِ، وتكونُ قراءتُهُ بحضورِ قلبٍ، وتعلُّقٍ باللهِ ﷻ، وهي أحرى بالإجابةِ؛ فكم مِن شخصٍ رقى نفسَهُ فشفاه اللهُ ﷻ!

ومِن ذلك أيضًا: أنَّ بعضَ الناسِ إذا احتاج إلى وظيفةٍ، أخَذَ يَبحَثُ عن واسطةٍ، وأخَذَ يكلِّمُ فلانًا وفلانًا، دون أن يَلجَأَ إلى ربِّه أوَّلًا في أن ييسِّرَ له هذه الوظيفةَ.

وأذكُرُ هنا قصةً واقعيَّةً سَمِعْتُها مِن إذاعةِ القرآنِ الكريم، وهي أنَّ شخصًا أراد وظيفةً ما، فذهَبَ إلى أصحابِ الشأنِ، فلم يلتفِتوا إليه، فضاق به الأمرُ، فذهَبَ إلى أحدِ أهلِ العلمِ يريدُ شفاعتَه، فأرشدَهُ إلى اللجوءِ إلى اللهِ ﷻ؛ فأخَذَ بنصيحتِه؛ فقام قبلَ الفجرِ، وأخَذَ يصلِّي ويدعو اللهَ ﷻ، ثم بعد ذلك ذهَبَ إلى مَن كان قد ذهَبَ إليهم فيما سبَقَ في طلبِ الوظيفةِ، فتيسَّرَتْ له هذه الوظيفةُ، حتى قال له أحدُ المسؤولِين ـ الذي قد ذهَبَ إليه في المرَّةِ الأولى، ولم يلتفِتْ إليه ـ قال له: «أينَ أنتَ؟!».

بل إنَّك تَجِدُ بعضَ الناسِ حتى في الدعاءِ لنفسِهِ، يطلُبُ مِن الناسِ أن يَدْعُو له، وربُّنا يقولُ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد جاء عن بعضِ السلفِ ـ وهو أصبَغُ بنُ زيدٍ الورَّاقِ ـ أنَّه قال: «مكَثْتُ أنا ومَن عندي ثلاثًا، لم نَطعَمْ طعامًا، فخرَجَتْ إليَّ ابنتي الصغيرةُ، فقالت: «يا أبتِ، الجُوعَ!»، فترَكْتُها وأتيتُ المِيضَأةَ، فتوضَّأْتُ للصلاةِ، وصلَّيْتُ ركعتَيْن، ومدَدتُّ يدي لأدعُوَ؛ فأُنسيتُ ما كنتُ أُحسِنُهُ في الدعاءِ، فقلتُ: اللَّهُمَّ، إن كنتَ حرَمْتَني مِن الرزقِ، فلا تَحرِمْني مِن الدعاءِ؛ فأُلهِمْتُ أن قلتُ: «اللَّهُمَّ، خَشَعَتِ الأصواتُ لك، وضَلَّتِ الأحلامُ فيك، وضاقَتِ الأشياءُ دُونَك، وهرَبَ كلُّ شيءٍ منك إليك، وتوكَّل كلُّ مؤمنٍ عليك؛ فأنت الرفيعُ في جلالِك، وأنت البَهِيُّ في جمالِك، وأنت العليُّ في قَدْرِك، يا مَن هو في عُلُوِّهِ دانٍ، وفي دُونِهِ عالٍ، وفي سلطانِهِ قويّ، صَلِّ على محمَّد، وعلى آلِ محمَّد، وافتحْ عليَّ منك رزقًا، لا تَجعَلْ عليَّ فيه مِنَّةً، ولا لك عليَّ فيه في الآخِرةِ تَبِعةً، برحمتِكَ يا أرحمَ الراحِمِين، ثم انصرَفْتُ إلى البيتِ، فإذا ابنتي الكبيرةُ قد قامَتْ إليَّ، وقالت: يا أبي، قد جاء الساعةَ عمِّي بهذه الصُّرَّةِ مِن الدراهِم، وبحَمَّالٍ عليه دقيق، وحَمَّالٍ عليه مِن كلِّ شيءٍ في السوقِ، وقال: أَقرِئوا أخي السلامَ، وقولوا له: إذا احتجْتَ إلى شيءٍ، فادعُ بهذا الدعاءِ، تأتِكَ حاجتُك».

قال أصبَغُ: «واللهِ، ما كان لي أخٌ قطُّ، ولا أَعرِفُ مَن كان هذا القائلُ؟! ولكنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، والحمدُ للهِ ربِّ العالَمِين»[(١)].

قلت: مَوضِعُ العِبرةِ في هذه القصةِ: أنَّ هذا رجلٌ توجَّه إلى ربِّه وصلَّى ركعتَيْن، ومَدَّ يدَيْهِ إليه؛ فجاءَهُ الفرَجُ سريعًا مِن قِبَلِ اللهِ ﷻ.

وهذه قصةٌ ذكَرَها أبو محمَّدٍ ابنُ حَزْمٍ، وقعَتْ لأبيه، وكان وزيرًا لأحدِ الملوكِ في بلادِ الأَندَلُسِ، وهو المنصورُ بنُ أبي عامرٍ، وهي قصةٌ ثابتةٌ؛ فقد قال ابنُ حَزْمٍ: «أخبَرَني هشامُ بنُ محمَّدِ بنِ هشامِ بنِ محمَّدٍ، المعروفُ بابنِ

(١) أخرجه ابنُ بَشْكُوال في «المستغيثين بالله» (٦١)؛ مِن طريق عُمَرَ بنِ عبد الله بن سَهْل البغداديِّ الصَّيْدَلانيّ، عن جعفر بن أحمد بن سِنَانٍ الواسِطي، عن أبيه، عن يزيد بن هارون، عن أصبَغَ بنِ زيدٍ الورَّاق، به.

البَشْتَنيِّ، عن الوزيرِ أبي رَحِمَهُ اللهُ؛ أنَّه كان بين يَدَيِ المنصورِ أبي عامرٍ محمَّدِ بنِ أبي عامرٍ في بعضِ مجالِسِهِ للعامَّةِ، فرُفِعَتْ إليه رُقْعةُ استعطافٍ لأمِّ رجلٍ مسجونٍ، كان ابنُ [أبي] عامرٍ حَنِقًا عليه لجُرْمٍ استعظَمَهُ منه، فلمَّا قرأها، اشتدَّ غضبُهُ، وقال: «ذَكَّرْتَني واللهِ به»، وأخذَ القلمَ يوقِّعُ، وأراد أن يكتُبَ: «يُصلَبُ». فكتَبَ: «يُطلَقُ». ورمى الكتابَ إلى الوزيرِ، قال: فأخَذَ أبوك القلمَ، وتناوَلَ رُقْعةً، وجعَلَ يكتُبُ بمقتضى التوقيعِ إلى صاحبِ الشُّرْطةِ، فقال له ابنُ أبي عامرٍ: «ما هذا الذي تكتُبُ؟»، قال: «بإطلاقِ فلانٍ»، قال: فحرَدَ، وقال: «مَن أمَرَ بهذا؟»، فناولَهُ التوقيعَ، فلمَّا رآه، قال: وَهِمْتُ، واللهِ لَيُصْلَبَنَّ!»، ثم خَطَّ على ما كتَبَ، وأراد أن يكتُبَ: «يُصلَبُ»، فكتَبَ: «يُطلَقُ»، قال: فأخَذَ والدُكَ الرُّقْعةَ، فلمَّا رأى التوقيعَ، تَمادى على ما بدَأَ به مِن الأمرِ بإطلاقِه، ونظَرَ إليه المنصور متماديًا على الكتابِ، فقال: «ما تكتُبُ؟»، قال: «بإطلاقِ الرجلِ»، فغَضِبَ غضبًا أشدَّ مِن الأوَّلِ، وقال: «مَن أمَرَ بهذا؟»، فناولَهُ الرُّقْعةَ، فرأى خطَّه، فخَطَّ على ما كتَبَ، وأراد أن يكتُبَ: «يُصلَبُ»، فكتَبَ: «يُطلَقُ»، فأخَذَ والدُكَ الكتابَ، فنظَرَ ما وقَّع به، ثم تَمادى فيما كان بدَأَ به، فقال له: «ماذا تكتُبُ؟»، قال: «بإطلاقِ الرجلِ؛ وهذا الخَطُّ ثالثًا بذلك»، فلمَّا رآه، عَجِبَ، وقال: «نَعَمْ؛ يُطلَقُ على رُغْمي؛ فمَن أراد اللهُ إطلاقَهُ، لا أَقدِرُ أنا على صَلْبِه»[1]، أو كما قال[2].

انظُرْ إلى هذا المَلِكِ، أراد أن يكتُبَ: «يُصلَبُ»، فلم يمكِّنْهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مع حِرْصِه، حتى فعَلَ ذلك ثلاثًا وهو يستطيعُ أن يكتُبَ ذلك، فما أراد الحرفَ إلا وجعَلَ يكتُبُ: «يُطلَقُ»، بدلًا مِن: «يُصلَبُ»، حتى انتبَهَ للمرَّةِ الأخيرةِ، فأمَرَ بإخراجِهِ وقال: «مَن أراد اللهُ إطلاقَهُ، لا أَقدِرُ أنا على صَلْبِه»، ولقد صدَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إذْ يقولُ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]؛ فهذه أمُّ الرجلِ توجَّهَتْ إلى ربِّها عَزَّ وَجَلَّ بالدعاءِ بإطلاقِ ولَدِها؛ فاستُجيبَ لها.

---

(١) في «جذوة المقتبِس»: «على مَنْعِه»، والمثبَتُ من «بُغْية الملتمِس»؛ وهو أَوْلى.
(٢) «جذوة المقتبِس» (ص١٢٦ ـ ١٢٧)، و«بُغْية الملتمِس» (ص١٨٢ ـ ١٨٣).

قال أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ عبدِ الحليم: «وأصلُ سؤالِ الخلقِ: الحاجاتُ الدنيويَّةُ التي لا يجبُ عليهم فِعْلُها؛ ليس واجبًا على السائلِ، ولا مستحَبًّا؛ بل المأمورُ به: سؤالُ اللهِ ﷻ، والرغبةُ إليه، والتوكُّلُ عليه؛ وسؤالُ الخَلْقِ في الأصلِ محرَّمٌ؛ لكنَّه أُبيحَ للضرورة، وتَرْكُه توكُّلًا على اللهِ أفضلُ؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧، ٨]؛ أي: ارغَبْ إلى اللهِ لا إلى غيرِه»(١).

وباللهِ تعالى التوفيقُ

أملاه

عبد الله بن عبد الرحمٰن السعد

٢٤ ذو القعدة ١٤٢٧هـ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١/ ١٨١).